شهريات

بقلم رئيس التحرير

لبنان والثقافة العربية

حين يطرح موضوع « لبنان في الثقافة العربية » فلا بد من المبادرة الى توضيح ان العلاقة بين لبنان والثقافة العربية هي علاقة جزء بكل . أي علاقة تكامل وتبادل ، وليست علاقة تخارج وتمايز . من أجل ذلك نعتبر مقولة التعددية الحضارية ، في الأمة العربية ، مقولة مرفوضة ومردودة ، وبديلها هو التكاملية الحضارية التي لم تكن الثقافة ، منذ عصر النهضة حتى اليوم ، الا انعكاسا امينا لها .

ذلك ان جميع النشاطات الثقافية التي انتجها لبنان في القرنين الاخيرين تنبع من هموم مشتركة بينه وبين سائر اجزاء الوطن العربي وتستهدف غاية واحدة. واذا كان التعبير عن هذه النشاطات الثقافية يتخذ له « نكهة » خاصة تميزه عن نكهات الانتاج العربي الآخر . فهي بعيدة عن ان تشكل انتاجا مستقلا بذاته غير مرتبط بغيره بأي رباط .

واذن ، فاننا حين نتحدث عن دور لبنان في الثقافة العربية ، فيجب ان نستبعد النرجسية التي يتبناها بعض الفرقاء تدليلا على تفرد لهذا البلد لا يماثله فيه سواه . فالواقع ان لبنان ، على الصعيد الثقافي، لا يستمد اهميته الا من كونه مشاركا في صنع ثقافة عربية يتكامل بها ويكاملها مع اجزاء الوطن العربي الاخرى . وذلك أمر بديهي ومنطقي حين يدرس لبنان كبؤرة ثقافية تتجمع فيها هموم امة تربط بين اجزائها اصول تاريخية موحدة ولغة واحدة وارادة في الحياة مشتركة . ولبست محاولات عزل لبنان الا استلابا له وتنفيلا لاصالته العربية . وقد باءت فعلا بالاخفاق محاولة تغريبه وفصله عن المصير العربي على كل صعيد . فهو في السياسة أعجز من ان يستقل عن القضايا العربية المصيرية ، وعلى رأسها قضية فلسطين ، لان هذه القضايا من قدره ، ولا فكاك له منها . وهو على الصعيد الاقتصادي مدعو الى الانهيار والتفتت بغير علاقاته التجارية مع البلدان العربية. اما على الصعيد الثقافي ، فان انتاجه في الآداب والفنون يجد بعده الستراتيجي في كل العواصم والارياف العربية.

وليست بنا حاجة هنا الى سرد الاسهام الاساسي الكبير الذي قام به لبنان ، وما يزال يقوم به ، في ثقافتنا العربية المعاصرة . فتاريخ الثقافة يشهد له بدور فعال في ميادين الرواية والقصة والشعر والمسرح والفنون التشكيلية والموسيقى والغناء . غير اننا نود التوقف بتركيز شديد ، على بضعة امور في هذا الاسهام :

١) لا يزال لبنان النافذة الكبرى المشرعة على الثقافات الاجنبية . يتلقاها ويطلقها في أقطار العروبة . كما لا يتاح لاي قطر أن يفعل . وهو هنا يقوم بأكبر دور في الترجمة . ونحن نعتقد ان معظم تيارات الفكر والادب والفن الاجنبية انما تغلغلت في اوساط القراء والمثقفين العرب بفضل ترجمتها في لبنان . وهكذا تكون الثقافة العربية المعاصرة مدينة ، الى حد كبير ، لهذا البلد بتلقحها وتفاعلها مع الثقافات الاجنبية على اختلافها . وأهمية لبنان في هذا المضمار انه شرع نوافذه على سعتها للتلقي ، من غير قيد ولا تضييق ، بعكس ما فعلته وما تزال تفعله بعض الاقطار العربية حين تفرض قيودا على الفكر اليميني ، أو على الفكر اليساري ، او على اي تيار لا ينسجم مع نظامها .

٢) هذه النافذة الكبيرة اتاحت للوسائل الاساسية للترجمة ان تأخذ كل مداها في لبنان ، فأصبح البلد الاول في انتاج المعاجم اللغوية التي بلغت صناعتها هنا مستوى رفيعا من الجودة ، تأليفا وترجمة واخراجا . وقد تابع لبنان في هذا السياق دوره الاول في الحفاظ على اللغة العربية وتعزيز موقعها وافشال مخططات تهجينها بمحاولة احلال اللاتينية او اللغة العامية محلها.

٣) نتيجة لذلك كله ، أصبح لبنان أكبر عاصمة عربية للنشر والتسويق والتوزيع . ولا شك في ان ما يقوم به الناشرون اللبنانيون ، بالرغم من التحفظات الكثيرة على بعضهم ، يتجاوز في أهميته وفاعليته ما تقوم به معظم وزارات التربية والثقافة والاعلام العربية.

٤) اذا كان ازدهار النشر والتوزيع نتيجة ، فان السبب الاول لاهمية لبنان الثقافية هو حرية الفكر التي يتمتع بها . وهناك اجماع على ان لبنان هو واحة الحرية

« الآداب » في عـامها الثـامن والعشرين

بهذا العدد ، تدخل « الآداب » عامها الثامن والعشرين ...

و « معجزة » استمرار « الآداب » ومتابعتها رسالتها دون اي ضعف او تراجع هي تحد لجميع المعوقات والمثبطات في وقت ينعدم فيه التكافؤ بين امكانية هذه المجلة وامكانيات المجلات الاخرى التي تصدر ، داخل كل بلد ، بتمويل مباشر ، او في الخارج ، بدعم غير منظور ... بل لعل الحاجة الى استمرار « الآداب » تزداد الحاحا كلما صدرت مجلة جديدة ذات تمويل رسمي ... لان هذه المجلات التي تتكاثر شهرا بعد شهر ، لا بد ان تدفع ثمنا لتمويلها تبعيتها لمصدر التمويل ، فتفقد بذلك حريتها في التفكير والتعبير والنشر .

غير أن ذلك لن يسمح « للآداب » بأن تنام على حرير ... ان عليها ان تتجاوز ذاتها ، وان كان هذا التجاوز يظل محكوما بالانتاج الادبي ، بمعنى ان صعود مستوى المجلة او هبوطه مرتبطان حكما بصعود الانتاج المعروض او هبوطه .

سبعة وعشرون عاما : تاريخ وتراث .. لعل أهم ما يحملانه ان « الآداب » أصبحت ، بلا منازع ، المرجع الاساسي الاول لتطور الادب العربي الحديث.

في صحراء من القمع والارهاب. ان جميع الايديولوجيات والتيارات والنزعات تجد هنا مجالها الواسع وحريتها الكاملة . والصراعات الثقافية تأخذ جميع الابعاد التي تتيح لها الفعالية والجدوى ، لانتفاء السدود والقيود. من أجل ذلك ، اصبح لبنان ملجأ للحريات : يجد فيه كل عربي ، سياسيا كان ام مثقفا ، ملاذا من قمع بلده وارهابه . ذلك هو عنوان مجده الاول وقيمته الكبرى : الديموقراطية الفكرية . ان كثيرين من المفكرين العرب يفضلون أن يأتوا بانتاجهم الى لبنان لينشروه ويذيعوه ، انطلاقا منه ، حتى الى بلادهم الاصلية . وكثيرون من المفكرين والادباء العرب يؤثرون الاقامة في لبنان لانهم يستطيعون فيه ان يعبروا عن الحد الادنى من افكارهم. فيمارسوا الحد الادنى من حريتهم .

* * *

يبقى السؤال : والحرب اللبنانية ؟

الحق ان الحرب اللبنانية لم تفعل الا ان تؤكد دور لبنان . لا في الثقافة العربية وحدها ، بل في الحياة العربية قاطبة . ذلك ان هذه الحرب قامت أصلا ، على أيدي الذين أثاروها ، لعزل لبنان وشله عن المضي في اداء دوره العربي . وكانت غاية التصدي للذين أثاروا هذه الحرب الدفاع عن القضية الفلسطينية التي هي اساس النضال العربي كله . ولا شك في أن اخفاق مثيري الحرب اللبنانية في ضرب هذا الهم القومي المركزي هو في ذاته انتصار للبنان العربي والعروبي . انتصار يثبت التحام هذا البلد ، واقعا ومستقبلا ، بالمصير العربي .

وقد أفرزت الحرب اللبنانية المواقع الثقافية في هذا البلد افرازا نهائيا ، بعد أن كان الغموض والتذبذب يحكمان تلك المواقع . ان ثقافتين صريحتين ما زالتا تتواجهان في لبنان : ثقافة عروبية تقدمية ، وثقافة انعزالية رجعية . وبدلا من ان تؤدي الحرب ، في اعتقاد مثيريها ، الى نصر للثقافة الثانية ، فهي تثبت يوما بعد اليوم ان الثقافة الاولى ، الثقافة العروبية التقدمية ، هي التي تحتل الساحة الابداعية ، وهي التي ستكون الوجه الحقيقي للثقافة في لبنان .

سهيل ادريس